إشكالية المصطلح اللّساني عند عبد الرحمان الحاج صالح وأزمة الإشكال

الدكتور: سمير معزوزن

المركز الجامعي عبد الحفيظ بو الصوف – ميلة-

samirmazouzen@yahoo.fr

الملخّص:

وأخال نفسي صائبًا – بداية- إن قلت أنَّ المصطلح اللّساني العربي أصبح يعيش اليوم ما يسمى "فوضى المصطلح"، وذلك راجع أساسًا لعدم تفعيل لغة عربية متخصصة. فمن المتعارف عليه، أننا نجد لكل مصطلح لساني أجنبي المصطلح العربي الذي يقابله، ولكن – للأسف- نجد أكثر من مصطلح عربي مقابلاً للمصطلح الأجنبي.

ولعله من باب إنصافنا العلمي الموضوعي عند الحديث عن إشكالية المصطلح اللساني وأزمة الإشكال الحديث عن الجهود الكبيرة التي بذلها الأستاذ الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح في ضبط وتوحيد المصطلح اللساني العربي. كيف لا، ونحن نلمس منهجيته الدقيقة والعلمية في وضع المصطلح. حيث لا يعرض عليه مصطلح لساني إلا تلقاه بالنقد والتمحيص والتدقيق، فإن كان المصطلح صحيحًا سكت عنه، وإن بدا فيه مآخذ، أمسك به وجهر برأيه فيه. وعليه، لو قام كل لساني عربي في هذا التخصص – علم المصطلح- بما قام به الأستاذ لجنبونا هذه الفوضى المصطلحية التي نتخبط فيها اليوم.

بين هذا وذاك، يروم بحثنا هذا الإجابة عن مجموعة من التساؤلات نجملها في النقاط الآتية: ما هي الأسس والميكانزيمات والقواعد التي يستند إليها الأستاذ في وضع المصطلح اللّساني؟ هل كان موضوعيًا ودقيقًا في وضع المصطلحات اللّسانية وبعيدًا كل البعد عن التحيز والأحكام المسبقة؟ ما هي أهم الأسباب التي دفعته إلى التشبث بمصطلحات التراث اللُّغوي الأصيل؟ وهل كان متحجرًا منغلقًا على مصطلحات التراث اللُّغوي العربي أو منفتحًا أيضًا على المصطلحات اللّسانية الغربية الحديثة؟ ما الموقف الذي أبداه الأستاذ من اللّسانيين العرب المشارقة والمغاربة في وضعهم للمصطلحات اللّسانية العربيَّة ؟ وما هي الحلول التي اقترحها للخروج من أزمة المصطلح اللّساني؟. تلكم أهم التَّساؤلات التي نسعى للإجابة عنها في هذا البحث معتمدين في ذلك على المنهج الوصفي التحليلي الأنسب لمثل هذه الدّراسة.

الكلمات المفتاحية: المصطلح اللساني - الإشكالية -الدراسات اللسانية - الترجمة.

1 – المصطلح اللساني في الدراسات اللسانية العربية الحديثة:

ممَّا لاشكَّ فيه، أنَّ المصطلح اللّساني العربي الحديث أصبح اليوم يشهد واقعًا يتسم بالفوضى وعدم الاستقرار والاضطراب. ونجد في وقتنا هذا بعض المتخصصين في علم المصطلح يعتمدون على الطرق السهلة في وضع المصطلح اللّساني، والتي تحتكم إلى آليتي الترجمة والتعريب، بدل الاعتماد والتركيز في وضعهم للمصطلح اللِّساني على السمات والخصائص المميزة للُّغة العربيَّة من اشتقاق ونحت توليد... وأزيد على ما تقدَّم، فأقول، أنَّ هذه العفوية في الوضع والتوليد هي التي أدت في نهاية الأمر إلى فوضى مصطلحية وعدم تناسق المصطلح اللِّساني، وكان كل هذا نتيجة حتمية لغياب كل الأطر والقواعد والأسس المنهجية التي تؤطر العمل المصطلحي.

وغني عن البيان، أنَّ هذه الفوضى المصطلحية لها أسبابها؛فاللّسانيات الحديثة أجنبية المصدر والبيئة في مناهجها وروادها ومدارسها. حيث نجد أنَّ ((لكل منها في الغالب مصطلحاتها التي تعكس مفاهيمها الخاصة النابعة عن نظرياتها اللغوية، بل نجد في إطار المدرسة الواحدة تنوعًا في المصطلحات وفقا لاجتهادات كل واحد)) (1). فاللسانيات وافد جديد على الدِّراسات اللِّسانية العربيَّة الحديثة، وهو ما فرض على اللِّسانيين العرب الإلمام بهذا العلم والإحاطة به إحاطة شاملة متكاملة مرمة تقييم التراث اللُّغوي العربي الأصيل وتقويمه. وعليه، اختلفت التوجهات والاتجاهات والمشارب والرؤى التي تبنت هذا الوافد الجديد، كل حسب مدرسته والبيئة التي أخذ منها هذا العلم، وهو ما نتج عنه بالأخص اختلاف في ترجمة مصطلح الحامل لهذا العلم(Linguistique) اللِّسانيات.

1 - 1- فوضى المصطلح اللّساني العربي:

تجدر الإشارة - بداية- أنَّ الذي نقصده بفوضى المصطلح هو وجود أكثر من مصطلح عربي يقابل المصطلح الأجنبي؛ ولعل سبب ذلك يعود لكون اللسانيات دخلت حديثًا إلى البيئة العربيَّة، وهو ما أدى إلى عدم استقرار الدِّراسات اللِّسانية العربيَّة الحديثة على مصطلح واحد يوحد الجهود اللِّسانية المبذولة في هذا السياق. حيث نجد في هذا الإطار، أنَّ الألفاظ تتعدد للدلالة على المعنى الواحد. إضافة إلى ذلك، عدم وضع أسس وقواعد وقوانين تضبط المصطلح اللِّساني، والخلط في الوضع بين المصطلح اللُّغوي التراثي القديم والجديد.

وإنَّ أول ما يطالعنا من هذه الفوضى المصطلحية هو الترجمات المتعددة لمصطلح " اللِّسانيات" (Linguistique)، فقد ذكر في هذا السِّياق عبد السلام المسدي المصطلحات المترجمة والمعربة له، وهي: ((اللانغويستيك، فقه اللغة، علم اللغة، علم اللغة الحديث، علم اللغة العام، علم اللغة العام الحديث، علم فقه اللغة، علم اللغات، علم اللغات العام، علوم اللغة، علم اللسان، علم اللسان البشري، علم اللسانة، الدراسات اللغوية الحديثة، الدراسات اللغوية

المعاصرة، النظر اللغوي الحديث، علم اللغويات الحديث، اللغويات الجديدة، اللغويات، الألسنية، الألسنيات، اللسنيات، اللسانيات))(2). وفي هذا المسار، فقد أقر المجتمعون في ندوة " اللِّسانيات واللُّغة العربيَّة" المنعقدة بتونس 1978 على استعمال مصطلح اللِّسانيات بناء على توصيات أهل الاختصاص، غير أن الفوضى المصطلحية ما زالت تلاحقه، وهذا راجع إلى غياب سلطة تفرض ما تقرره المجامع اللُّغويَّة من مصطلحات.

1 - 2– تعدد مناهل الترجمة:

لا نغالي إذا قلنا، أنَّ تعدد مناهل الترجمة كانت أحد أهم الأسباب في فوضى المصطلح، وما آل إليه المصطلح اللِّساني من اضطراب في النقل، ينم عن تعدد الخلفيات المعرفية والمدارس التي ينتمي إليها كل مترجم عربي للمصطلحات اللِّسانية الحديثة، وخاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار أنَّ اللِّسانيات علم غربي النشأة والمصدر، وهو لا محالة الذي أدى في الأخير إلى اضطراب المصطلح اللِّساني وعدم استقراره. وقد وضح عبد السلام المسدي كل ما سبق ذكره بقوله:((اختلاف الينابيع التي ينهل منها علماء العرب اليوم بين لاتيني وسكسوني وجرماني وسلافي... وما ينشأ عنه من توليد مطرد للمصطلح الفني بحسب توالي المدارس اللسانية وتكاثر المناهج التي يتوسل بها كل حزب من المنتصرين للنظرية الواحدة أحيانا، كل ذلك قد تضافر،فعقد واقع المصطلح اللِّساني العربي،فجعله إلى الاستعصاء والتخالف أقرب منه إلى التسوية والتماثل))(3).

كما لا نجد ضيرًا من المراوحة للتأكيد على أن عملية نقل المصطلح حتى تصل إلى مبتغاها ((لابد من مراعاة كثير من الضوابط المعرفية التي أشار المنظرون والمتخصصون في علم المصطلح، لاسيما إذا تعلق الأمر بحقل الترجمة وواقع المصطلحات التي يتعامل معها المترجمون على اختلاف اتجاهاتهم، وذلك بطرق تتماشى إلى حد بعيد مع حركية السياق الواقعي؛ الأمر الذي يجعل من واقع المصطلحات يأخذ مسارًا تطوريًا وهو يقتحم عالم الحقول المعرفية))(4).

بل إننا بعد كل الذي سبق ذكره، نرى أن هذه الفوضى المصطلحية في الترجمة تعدت إلى واضع الدعائم الأولى للسانيات فردنان دو سوسير(**Ferdinand de Saussure**) في كتابه الموسوم" محاضرات في اللسانيات العامة"(**Cours de linguistique générale**)، فقد تُرجم هذا الكتاب إلى العربية بخمس ترجمات مختلفة كل ترجمة تحمل عنوانًا مختلفًا عن باقي الترجمات.

وتجدر الإشارة في هذا السياق، أن الترجمة التونسية لكل " محمد صالح القرمادي" و"محمد عجينة" و"محمد الشاوش" حملت عنوان " دروس في الألسنية العامة"، والترجمة المصرية وردت تحت عنوان" فصول في علم اللغة العام" "لأحمد نعيم الكراعين"، بينما أتت الترجمة العراقية تحت عنوان " علم اللغة العام" "ليوئيل يوسف عزيز" والترجمة السورية التي

قدمها "يوسف غازي" و"مجيد نصر" حملت عنوان " محاضرات في الألسنية العامة"والترجمة الأخيرة مغربية أتت تحت عنوان" محاضرات في علم اللسان العام" "لبعد القادر قنيني"(5).

1 - 3– الازداوجية اللغوية:

ولاشك أن من الأسباب التي أدت إلى فوضى المصطلح الازدواجية اللغوية التي تقف كحاجز ومانع لترجمة المصطلحات اللسانية، ويظهر ذلك جليا عند اللسانيين العرب الذين تلقوا تكوينا في اللسانيات بلغة أجنبية، وهو ما يؤثر سلبا في ترجمتهم للمصطلحات اللسانية الأجنبية. حيث يتخذ اللساني العربي اللغة الأجنبية التي تعلمها منطلقا في ترجمة المصطلحات اللسانية إلى اللغة العربية.

ومن هنا، فاللساني العربي الذي تلقى تكوينا باللغة الفرنسية يستعمل مصطلح " الفونيتيك" لترجمة مصطلح (**Phonétique**)، وهو بخلاف الدارس باللغة الإنجليزية الذي يستعمل مصطلح" الفوناتيك" ترجمة لمصطلح (**Phonetics**) رغم أن هناك ما يقابله باللغة العربية وهو علم الأصوات(6).

1 – 4 – عدم الاستجابة الكاملة لمصطلحات المجامع اللغوية:

ولا يمكننا أن نغفل في هذا السياق، أنَّ للمجامع اللغوية العربية في مختلف الأقطار العربية إسهامات كبيرة في وضع المصطلحات اللسانية وتوحيدها، وقد تجسد ذلك أساسا في النشاطات العلمية لهذه المجامع اللغوية كالمجمع العلمي العربي بدمشق، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة، والمجمع العلمي العراقي، ومجمع اللغة العربية بالجزائر... حيث كثيرا ما ألحت هذه المجامع بضرورة استخدام مصطلحات لسانية معينة، ولكن نظرا لعدم وجود هيئة وسلطة تفرض على اللساني العربي استخدام المصطلحات التي تقرها المجامع اللغوية العربية، حيث((إن المأساة الحقيقية في أمر المصطلح، هي وجود المصطلحات التي قامت بوضعها جهات علمية عديدة، ولم يتح لها أن ترى النور))(7).

ومما لاشك فيه، أن عدم الامتثال الطوعي لما أقرته هذه المجامع اللغوية العربية، والعفوية والذاتية التي يعتمد عليها اللساني العربي في وضع المصطلح، وعدم احتكامه إلى قواعد علمية دقيقة ومنهجية صارمة، وعدم الاكتراث بالأبعاد النظرية للمشكل المصطلحي، وعدم التنسيق بين اللسانيين العرب في استخدام مصطلحات لسانية موحدة أقرت المجامع اللغوية باستخدامها،هو الذي كان أحد أهم الأسباب في فوضى المصطلح اللساني العربي الذي تشهده الدراسات اللسانية العربية الحديثة.

2 – المصطلح اللساني عند عبد الرحمان الحاج صالح:

نستطيع أن نقر جازمين بأن جهود المرحوم الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح في وضع المصطلح اللساني وتوحيد استعماله في كافة الأقطار العربية لا ينكرها جاحد، كيف لا، وهو الذي ساهم مساهمة فعالة في إزالة الضبابية التي كانت تكتنف المصطلح اللساني، حيث أوتيت له هذه الشرعية بصفته عضوا في المنظمة العربية للتربية والثقافة. وقد قدم في السياق الكثير من المجهودات التي يشكر عنها في وضع المصطلحات اللسانية العربية إما عن طريق الترجمة أو الاشتقاق أو النحت...

تجدر الإشارة إلى أن الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح يرى ((أن مشكلة وضع المصطلح اللساني وغيره من الأعمال الخاصة بتكييف اللغة وإثرائها تكمن في أمور ثلاثة:

• اعتباطية العمل عند الكثير من اللغويين، أي عدم خضوعه لضوابط علمية، وذلك بعدم مراعاته لمعطيات العلوم اللسانية الحديثة بصفة خاصة، ومنهجية العلوم الاجتماعية بصفة عامة.

• حرفيته،أي اقتصاره على البحوث الفردية التي هي أشبه شيء بالصناعات التقليدية يعتمد فيه على المعالجة اليدوية كالنظر الجزئي في القواميس والاقتصار على جرد العديد من المعلومات بالأيدي العزلاء.

• عدم شموليته بعدم الرجوع إلى كل المصادر العربية التي يمكن الاستقاء منها. - وخاصة المخطوط منها – وجميع المراجع الأجنبية التي يمكن استغلالها لتحديد المفاهيم الحديثة))(8). ويمكننا أن نجمل إسهامات الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح في وضع وضبط المصطلح اللساني ضبطا جيدا فيما يلي:

2 -1 – استعمال مصطلح " اللسانيات" أو "علم اللسان" بدلا من "علم اللغة" أو الألسنية":

غني عن البيان، أنَّ الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح يميل إلى استخدام مصطلح " علم اللسان" أو " اللسانيات"الذي يقابله باللغة الفرنسية مصطلح (**Linguistique**) وباللغة الإنجليزية مصطلح(**Linguistics**) بدلا من " علم اللغة"، وقد ذكر أن لهذا الاستعمال أسبابه فقد ترجم بعض المؤلفين العرب لفظ الـ(**linguistics**) بـ "علم اللغة"، وكنا لا نرى في ذلك بأسا لو أن كلمة(اللغة) كانت تدل دائما على مفهوم اللسان(9)". ويقر الحاج صالح بأنه وإن كان تعريف ابن جني للغة قد دل على المعنى العام لتعريف علم اللسان إلا أنه يمكن أن تغلب المعاني الفرعية على المفهوم العام.

أضف إلى كل ما سبق ذكره، يرى الحاج صالح أنه هناك من الباحثين العرب من يستخدم "علم اللسانيات" وهذا حشو - في ضوء تصوره- لأن الألف والتاء في اللغة العربية تدل على العلم، فإما أن نقول (("اللسانيات" قياسا على البصريات والرياضيات أو "علم اللسان". وأن " تخصص كلمة(لغة) إذا أضيفت إلى العلم للدلالة على دراسة أوضاع المفردات. أما إذا أفردت عن العلم فلا بأس باستعمالها مع كلمة اللسان للدلالة على المفهوم العام))(10). بينما توظيف مصطلح " الألسنية" يدل على المذهب الديني نقول:" الشافعية، الحنبلية...

2 – 2 – الاستغراق بدلاً من التوزيع:

يرى الدكتور عبد الحاج صالح أنه انتشر بين اللسانيين العرب استعمال مصطلح " التوزيعية" كمقابل للمصطلح الغربي(**Distributionnalisme**) ولكنه يرى أن مصطلح الاستغراق أكثر دلالة وتعبيرا من مفهوم التوزيع، ويوضح ذلك بقوله:((إن هذه الطريقة قد بنيت على مفهوم الاستغراق(Distribution) كما يفهمه علماء اللسانيات الحديثة ويسميه النحاة العرب قديما بـ "قسمة المواقع" أو المواقع(شرح الرماني للكتاب) وهو عند العرب أوضح وأبين، لأن المفهوم النظري المحدث يعني به المحدثون استفراغ جميع ما يمكن أن يحيط بوحدة لغوية في الخطاب أو كل ما تحتمله من سياق لفظي ذي دلالة))(11).

وتجدر الإشارة إلى أن الاعتماد على قسمة المواقع لاستخراج المقصود الدلالي، لا يعني الاعتماد الكلي على الدلالة الاستغراقية؛ لأن المعنى المقصود من كلمة معينة لا يمكن أن يحدد بما يختص به من خواص استغراقية (أو موقعية) الفئة التي تنتمي إليها هذه الخواص، لسبب بسيط، هو عدم وجود توازنا بين التصاريف المختلفة للدال الواحد وتصاريف مدلول هذا الدال(12).

2 – 3 – البنوية بدلا من البنيوية:

وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى أن الحاج صالح عمد إلى توظيف مصطلح البنوية كترجمة للمصطلح الأجنبي(**structuralisme**)، حيث شاع عند البعض من الدارسين العرب استعمال مصطلح " البنيوية"، وهو مصطلح غير صحيح في الوضع، لهذا قام الدكتور الحاج صالح بتصحيحه قياسا على أصل اشتقاقه، ويوضح الحاج صالح ذلك في قوله:" اتبعنا في هذه النسبة رأي يونس بن حبيب النحوي الذي يقول في ظبية: ظبوي وهو أخف من ظبي ووجهه الخليل. أما المقصود منه فهو الوصف الذي تتصف به الآن مناهج المدارس الملقبة(Structuraliste)"(13).

2 – 4 – لغة المنشأ بدلا من لغة الأم:

مما لاشك فيه، أنه نظرا لحداثة كل من علم اللغة التطبيقي وعلم النفس، فإن مدلول بعض المصطلحات يختلف من مدرسة فكرية إلى أخرى، بل يتباين من باحث إلى أخر فمصطلحات مثل" اللغة الأولى و" اللغة الأهلية" و"اللغة الرئيسية" و"لغة الأم" لم تخضع إلى تقييس أو توحيد بعد. وتعرف لغة الأم بأنها:((هي اللغة التي يكتسبها الطفل من والديه عادة، أو من البيت الذي يمضي فيه سنوات عمره المبكرة. وكان من الشائع أن هذه اللغة تنمو وتكتمل في حدود السنوات الأربع الأولى من النشأة، وأنها عادات يقلد بها الطفل والديه، ويثاب على ذلك وتنتهي بالاكتساب))(14).

وفي هذا المسار يرفض الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح تسمية أول لغة يتلقاها الطفل في محيطه الأسري والمجتمع بلغة الأم، لأن حسب تصوره توهم القارئ بأن هناك لغة الأب لغة الأخت لغة الأخ... ويفضل تسمية لغة المنشأ؛ أي لغة المحيط الذي نشأ فيه الطفل ويكتسب من خلاله لغته المنشأ بشكل عفوي عن طريق الاحتكاك مع أفراد أسرته ومحيطه الاجتماعي بشكل عام(15).

2 – 5- الانغماس اللغوي بدلا من الحمام اللغوي:

فضّل الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح مصطلح الانغماس اللغوي ترجمة للمصطلح الأجنبي(**Bain linguistique**) بدلا من الحمام اللغوي الذي استخدمه بعض من اللسانيين العرب. ومما لا ريب فيه، أن مصطلح الانغماس مصطلح تراثي استخدمه العرب القدامى، والذي يعني معنى التغطية والتغلغل في أعماق الشيء، حيث يقال:((الغمس إرساب الشيء في الشيء السيال، أو الندى، أو في ماء، أو في صبغ، حتى اللقمة في الخل، غمسه يغمسه غمسا أي مقله فيه، وقد انغمس فيه واغتمس... قال: وقال علي بن حجر: الاغتماس أن يطيل اللبث فيه والارتماس أن لا يطيل المكث فيه... ومنه الحديث: فانغمس في العدو فقتلوه أي دخل فيهم وغاص))(16).

وبالنظر للمسوغات السابقة، فقد أشار الحاج صالح إلى مصطلح الانغماس اللغوي عندما تحدث عن طريقة تكون الملكة اللسانية ونموها، حيث قال:((إن الملكة اللغوية لا تنمو ولا تتطور إلا في بيئتها الطبيعية، وهي البيئة التي لا يسمع فيها صوت أو لغو إلا بتلك اللغة التي يراد اكتسابها، أما خارج هذا الجو الذي يسمع فيه غير هذه اللغة فصعب جدا أن تنمو فيه الملكة اللغوية، فمن أراد أن يتعلم لغة من اللغات فلابد أن يعيشها وأن يعيشها هي وحدها لمدة زمنية

معينة، فلا يسمع غيرها ولا ينطق بغيرها وأن ينغمس في بحر أصواتها كما يقولون لمدة كافية لتظهر فيه هذه الملكة))(17).

2 – 6 – ثنائية الوضع والاستعمال بدلا من ثنائية اللغة والكلام:

يجدر التنويه أن عبد الرحمان الحاج صالح قد رأى أن النحاة العرب القدامى الذين عاشوا في زمن الفصاحة اللغوية كانوا أكثر إدراكا لأهمية الاستعمال الحقيقي للغة في مختلف الأحوال الخطابية. ومن هذه الأهمية فضل استخدام ثنائية الوضع والاستعمال على ثنائية اللغة والكلام، حيث يقصد بالوضع: ((أن اللغة مجموعة منسجمة من الدوال والمدلولات ذات بنية عامة ثم بنى جزئية تندرج فيها، وهذا هو الوضع، وما يسمى بالقياس هو المعقول من هذا الوضع، أي ما يثبته العقل من انسجام وتناسب بين هذه العناصر اللغوية والعلاقات التي تربطها، ومن جهة أخرى ما يثبته من تناسب بين العمليات المحدثة لتلك العناصر على شكل تفريعي أو توليدي(من الأصول إلى الفروع))"(18).

ومن جانب الاستعمال يرى أنه عبارة ((هو كيفية إجراء الناطقين لهذا الوضع في واقع الخطاب. وليس كل ما هو موجود في الوضع يخرج إلى الوجود في الاستعمال كما أنه ليس ما يقتضيه القياس يحصل في الكلام، فالقياس كعملية عقلية قد يؤدي إلى ما لا يقبله الاستعمال، لأن هناك مقتضيات أخرى غير ما يحتمله الوضع والحد اللغوي))(19).

2 – 7 – ظواهر التخاطب بدلا من التداولية:

مما يجدر التنويه به، أن الحاج صالح ترجم المصطلح الأجنبي(**Pragmatique**) بـ "ظواهر التخاطب" أو "ظواهر الاستعمال"، علما أنها ترجمت من قبل الدارسين العرب الآخرين ترجمات مختلفة ومتعددة نذكر منها: الذرائعية والنفعية، والتداولية... والمصطلح الذي استخدمه ليس ببعيد عن استخدام العرب القدامى، إذ يقول في هذا السياق:((إن ما تطرق إليه هؤلاء النحاة المبدعين وهو سيبويه في كتابه- وهو أقدم ما وصل إلينا من كتبهم وأوفاها، ومن ثم يحتوي على ما عالجه أصحابه وأتباعه- هو أساسا الجانب النحوي الصرفي الصوتي للغة ولم يكن هذا الميدان – مع ذلك- مجرد نحو وصرف؛ لأنه لم يمهل أبدا الجانب الدلالي لأنواع الأبنية والتراكيب العربية من جهة، ومن جهة أخرى المعاني الخارجة عن دلالة اللفظ كدلالة الحال وغيرها... ثم اعتد سيبويه كثيرا بظواهر الاستعمال ومنها نظريته في ظواهر التخاطب(Pragmatics) وكل هذا يدخل في الميدان الواسع المسمى بعلوم اللسان))(20).

3 – مشروع عبد الرحمان الحاج صالح في تكوين اختصاصيين في علم المصطلحات والترجمة:

غني عن البيان، أن الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح عمل على تجسيد مشروع متكامل ومتناسق يسعى إلى تكوين متخصصين في علم المصطلح والترجمة المتخصصة، وهذا سعيا منه لوضع المصطلحات اللسانية والعلمية وفق أسس علمية مضبوطة وتقنين الترجمة بطريقة علمية. وتظهر سمات هذا المشروع الطموح فيما يلي(21):

- تكوين مختصين في الترجمة، لنقل العلوم والتكنولوجيا، ويكون ذلك بالإعداد على نطاق واسع لعدد كبير من المترجمين في نقل العلوم، ومن المعروف أن العدد الذي تتوفر عليه البلدان العربية من الاختصاصيين في ميدان الترجمة عدد قليل جدا.
- سد النزاع اللغوي الكبير في الوطن العربي.
- توفير الكتاب العلمي، مما يؤدي إلى استرجاع اللغة العربية لمكانتها الأصلية – الطبيعية- وبه تتكاثف الجهود عن هذه الثقافات العربية التي تقوم على غفوة أنها في درجة الكمال أحيانا.

وما يجدر التنويه، أنَّ الذي يقصده الحاج صالح بالتكوين لا يخص((تكوين تراجمة فقط بل اختصاصيين في علم المصطلح، ومن ثم اختصاصيين في علم من علوم اللسانيات التطبيقية ألا وهو علم اللغة المطبق على المصطلحات العلمية والتقنية، وهم في نفس الوقت مترجمون متخصصون؛ أي خبراء في علم معين تخصصوا في ترجمة النصوص المتعلقة إلى هذا العلم))(22).

3 – 1 – الجانب المعرفي:

عمل الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح على تأصيل المصطلحات التراثية للغة العربية وموازنتها ومقارنتها بنظيرتها من المصطلحات اللسانية الغربية، وهو بذلك لم يكن تفضيله لبعض المصطلحات اللسانية على حساب أخرى متحجرا للتراث اللغوي العربي، ولكنه كان موضوعيا معتدلا، وتجنب كل ما يرتبط بالتحيز أو الأحكام المسبقة في وضع المصطلحات اللسانية من جهة، ومن جهة أخرى لم يكن متأثرا أعمى بكل ما يصل إلينا من الدراسات الغربية الحديثة. حيث وُجه له في إحدى المحاضرات السُّؤال الآتي: هل أنتم من المحافظين؟ فأجاب: لست مُحافظًا ولا مُجددًا، ولكن أبحث عن المفيد. اكتشفنا في القديم شيئًا عظيمًا لم نجده في الحديث، ولو

اكتشفناه في الحديث لأخذنا به(23). وعليه، استطاع الدكتور اكتشاف مصطلحات عربية أصيلة من مثل: العامل، المثال، الباب، الاستغراق، قسمة التراكيب، الزمرة الدائرية...

3 – 2 – الجانب العلمي:

قام عبد الرحمان الحاج صالح بإعادة قراءة التُّراث اللُّغوي العربي الأصيل ومقارنته بما توصل إليه البحث اللِّساني الحديث، ومحاولة استثمار ذلك في الدِّراسات اللُّغوية العربيَّة. فأراد بذلك من خلال دراساته أن يُعيد الاعتبار لهذا التُّراث اللُّغوي الِّذي هُمش، وهذا لا يعني البتة أنه ضد فكرة التَّجديد في الدِّراسات اللُّغوية العربيَّة. فهو عمل على دراسة المصطلحات اللسانية دراسة علمية دقيقة بعيدا كل البعد عن الأحكام المسبقة، حيث لا يعرض عليه مصطلح لساني إلا وتعرض إليه بالتدقيق والتحليل والتمحيص وإخضاعه للقياس على أوزان نظام اللغة العربية، ويختار المصطلحات ذات الدلالة المناسبة والتعبير المناسب، وميله إلى استعمال وتوظيف المصطلحات التراثية الأصيلة من مثل: اللسان ، تبليغ، تخاطب، نظام تمايزي، مدونة، الاستقامة، التفريع... ولنا في هذا السياق، أن نسوق المثال الذي ذكره الحاج صالح في ترجمته لمصطلح(**Substart**) لفظة المنشأ اللغوي أو العادة الأولى اعتمادا على استعمال الجاحظ لهذا المفهوم(24). والسؤال المعرفي الذي طرحه الحاج صالح في كتاباته هو: ((كيف يمكن لواضعي المصطلحات أن يضعوا للمسمى الفلاني لفظا عربيا مناسبا يحظى بجميع الصفات التي ستجعله يشع شيوعا واسعا إن لم يكن لديهم وتحت تصرفهم مجمعة مرتبة كل الألفاظ الفصيحة(قديمة أو مولدة) التي تنتمي إلى المجال المفهومي الخاص بهذا المسمى))(25).

3 – 3 – الجانب اللغوي:

عمد الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح من خلال قراءته الثاقبة والعميقة للتراث اللغوي العربي الأصيل ومعرفته بخبايا اللسانيات الغربية إلى تأصيل المصطلح اللساني وموازنته بغيره من المصطلحات اللسانية الغربية واختبار نتائجه والعمل في وضعه في اللسانيات العربية بما يتلاءم مع خصائص اللغة العربية. وذلك من منطلق ما يحمله المصطلح التراثي من دلالة عميقة وشاملة، فقد يكون المصطلح الحديث قاصرًا عن تأدية المعنى المطلوب. وتكمن الدقة اللغوية عند الحاج صالح في ترجمته للكثير من المصطلحات الأجنبية من مثل ترجمته للمصطلح الأجنبي(**Recusirveness**) إلى مصطلح " **الإطالة**"(26). إذ نلحظ في هذه الترجمة الدقة اللغوية عند الحاج صالح في إيجاد مقاربة لغوية بين التراث اللغوي العربي واللسانيات الغربية الحديثة.

الخاتمة:

وصفوة القول في الأخير،أنَّ خبرة الحاج صالح وتجربته في وضع المصطلح اللساني تجلت فيما يلي:

1 - وضع مصطلحات لسانية عربية متكاملة وشاملة في ضوء منهج تعليمي.

2 - العمل على وزن المصطلح والتمحيص فيه قبل وضعه، من خلال ما يقابله من التراث اللغوي العربي الأصيل والدراسات اللسانية الحديثة.

3 - ميله إلى استخدام مصطلحات لسانية خاصة تعكس في ذلك تجربته الخاصة به.

4 – العمل على التأصيل للمصطلحات والمفاهيم التراثية العربية الأصيلة.

5 – ضرورة التنسيق وتبادل المعارف والخبرات في وضع النظام الاصطلاحي العربي بين اللسانيين والمصطلحيين والمجامع اللغوية حتى يكون مستعمل اللغة على دراية بالمصطلحات التي وضعت في تخصص أو مجال علمي معين.

6 – المتكلم المستعمل للغة الذي يحدد حاجات استعماله للغة وبالتالي يضع المصطلحات التي تفي بأغراضه وحاجاته بطريقة عفوية.

وفي الأخير لا نعتبر أنفسنا وفينا لهذه الشخصية العظيمة حقها، خاصة فيما يتعلق بمجهوداته الجبارة للتأصيل للمصطلح اللساني العربي، ولكننا أردنا من خلال هذه المداخلة الحديث عن إسهامات ومجهودات الرجل في وضع المصطلح اللساني وحله للكثير من الإشكالات المطروحة في هذا السياق. وفي الحقيقة مشروع الحاج صالح في المصطلح اللساني يمثل طفرة نوعية في سبيل إحياء المصطلح العربي التراثي الفصيح.

الإحالات :

(1) محمد حسين عبد العزيز، سوسير رائد علم اللغة الحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، د ت، ص:162

(2) عبد السلام المسدي،قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984، ص72.

(3) المرجع نفسه، ص: 55.

(4) مختار لزعر، المكافآت الترجمية للمصطلحات اللسانية، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم،دت،ص: 80

(5) ينظر: عبد السلام المسدي، ما وراء اللغة (بحث في الخلفيات المعرفية)، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، د ط، تونس،1994، ص: 11 - 15

(6) ينظر:أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، عالم الكتب،القاهرة، مصر،ط6،1988 ،ص101

(7) شاكر الفحام، قضية المصطلح العلمي، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ص:705

(8) عبد الرحمان الحاج صالح، مداخلة اللغة العربية وتحديات العصر، مؤتمر المنظمة العربية للتربية والتعليم والثقافة، 2005 ، ص:25 - 26

(9) عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، 2007 ، ص36

(10) المرجع نفسه، ص38

(11) عبد الرحمان الحاج صالح، السماع اللغوي عند العرب ومفهوم الفصاحة، موفم للنشر، الجزائر، 2012 ، ص17

(12) ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها

(13) عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، الهامش رقم25 ، ص63 .

(14) محمد أحمد العمايرة، بحوث في اللغة و التربية، دار وائل، عمان، الأردن، 2001 ، ص51.

(15) محاضرات ألقاها عبد الرحمان الحاج صالح على طلبة الماجستير، دفعة 2008 – 2009 ، مدونتي

(16) ابن منظور، لسان العرب، الدار المتوسطية للنشر والتوزيع، ط1، تونس، 2005، باب الغين، مادة غمس،3 – 2933

(17) عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، ج1 ، 2007 ، ص:193

(18) عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص: 195

(19) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(20) عبد الرحمان الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، 2012 ، ص 8 – 9

(21) عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1 ، ص372 - 373

(22) المرجع نفسه،ص373 – 374

(23) محمد صاري: المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية الحديثة، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة عنابة، الجزائر، دت ،ص:2

(24) ينظر: عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1 ، ص122 (الهامش)

(25) المرجع نفسه، ص:380

(26) عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر،ج2، 2007، ص23.